3- الثبات

الهدف من الخطبة: توجيه المسلمين إلى الثبات على الدين بصفة عامة وعلى منهج أهل السنة والجماعة بصفة خاصة مهما كانت النوازل والمحن، والتحذير من الإدبار بعد الإقبال ومن سفول الهمة بعد علوها ومن الفتور بعد الاجتهاد والعمل.

الثبات لغة: (ثَبَتَ) الثَّاءُ وَالْبَاءُ وَالتَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ دَوَامُ الشَّيْءِ وهو ضدُّ الزَّوالِ. و الفرق بين الرسوخ والثبات: أن الرسوخ كمال الثبات فيقال للشئ المستقر على الأرض ثابت وإن لم يتعلق بها تعلقًا شديدًا، ولا يقال راسخ ولا يقال حائط راسخ لأن الجبل أكمل ثباتا من الحائط، {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} آل عمران: ٧. (1)

الثبات اصطلاحًا: الاستمرار في طريق صراط الله المستقيم، والالتزام بمقتضيات هذا الطريق، والصبر على القيام به، وتحمّل الأذى في سبيل ذلك والمداومة على الخير، والسعي الدائم للاستزادة(2)

مواطن الثبات وصوره: مواطن الثبات وصوره كثيرة منها ما يلي:

أولًا: الثبات في الفتن: فكثيرا ما يتغير الناس في الفتن؛ فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "بادروا الأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا، ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع دينه بعرض من الدنيا".

وأنواع الفتن التي يزل امامها الناس كثيرة منها

1- فتنة المال:

قال الله:{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [الأنفال: 28]28.

قال ابن مسعود، في قوله: "إنما أموالكم وأولادكم فتنة"، قال: ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، فمن استعاذ منكم فليستعذ بالله من مُضِلات الفتن(3). قال مقاتل[1]: أي بلاء وشغل عن الآخرة.

---

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (395)، والفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (395).

(2) الثبات للدكتور صالح الرقب.

(3) أخرجه الطبري في تفسيره(487/13).

وقال القرطبي: أَيْ بَلَاءٌ وَاخْتِبَارٌ يَحْمِلُكُمْ عَلَى كَسْبِ الْمُحَرَّمِ وَمَنْعِ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا تُطِيعُوهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ.

وقال ابن كثير(2): وَالْقَوْلُ بِأَنَّ هَذَا التَّحْذِيرَ يَعُمُّ الصَّحَابَةَ وَغَيْرَهُمْ –وَإِنْ كَانَ الْخِطَابُ مَعَهُمْ – هُوَ الصَّحِيحُ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْفِتَنِ وعن كعب ابن عياض قال سمعت رسول الله يقول: **إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال(3).**

2- فتنة الجاه والمنصب

قال تعالى {**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**} [الكهف: 28] 28ومن فتنة الجاه: الوظيفة، والمنصب، فكم من متواضع ركب أسباب التكبر بسبب وظيفته ومنصبه، وكم من عفيف استغل وظيفته فصار نهمًا إلى المال بأي طريق جاء وكم من ورع في أدنى الشبهات فلمّا أصبح صاحب منصب أو جاه صار لا يتورع عن ارتكاب المحرمات، بل أصبح يزين الباطل لأقرانه ورؤسائه، ويستحل محارم الله بأدنى الحيل، ويتكبر على عباد الله تعالى.

وعن خطورة الفتنتين السابقتين –المال والجاه– قال –صلى الله عليه وسلم–: **ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه(4).**

وَمَعْنَاهُ لَيْسَ ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي جَمَاعَةٍ مِنْ جِنْسِ الْغَنَمِ بِأَشَدَّ إِفْسَادًا لِتِلْكَ الْغَنَمِ مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالْجَاهِ، فَإِنَّ إِفْسَادَهُ لِدِينِ الْمَرْءِ أَشَدُّ مِنْ إِفْسَادِ الذِّئْبَيْنِ الْجَائِعَيْنِ لِجَمَاعَةٍ مِنَ الْغَنَمِ إِذَا أُرْسِلَا فِيهَا، أَمَّا الْمَالُ فَإِفْسَادُهُ أَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْقُدْرَةِ يُحَرِّكُ دَاعِيَةَ الشَّهَوَاتِ،. . . وَرُبَّمَا يَشْتَدُّ أُنْسُهُ بِالْمَالِ، وَيَعْجِزُ عَنْ كَسْبِ الْحَلَالِ، فَيَقْتَحِمُ فِي الشُّبَهَاتِ مَعَ أَنَّهَا مُلْهِيَةٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذِهِ لَا يَنْفَكُّ عَنْهَا أَحَدٌ، وَأَمَّا الْجَاهُ فَكَفَى بِهِ إِفْسَادًا أَنَّ الْمَالَ يُبْذَلُ لِلْجَاهِ، وَلَا يُبْذَلُ الْجَاهُ

---

(1) تفسير مقاتل سورة التغابن

(2) تفسير ابن كثير (38/4)، وتفيسير القرطبي سورة التغابن.

(3) الترمذي(2336)، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب إنما نعرفه من حديث معاوية بن صالح.

(4) سنن الترمذي (2376) وقال: حسن صحيح.

لِلْمَالِ وَهُوَ الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، فَيَخُوضُ فِي الْمُرَاءَاةِ وَالْمُدَاهَنَةِ وَالنِّفَاقِ، وَسَائِرِ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ، فَهُوَ أَفْسَدُ وَأَفْسَدُ اهـ. (1)

3- ومنها فتنة الزوجة والولد:

قال الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** التغابن: 14

قال ابن القيم في الآية: وليس المراد من هذه العداوة ما يفهمه كثير من الناس أنها عداوة البغضاء والمحادة، بل إنّما هي عداوة المحبة الصادة للآباء عن الهجرة والجهاد، وتعلم العلم والصدقة، وغير ذلك من أمور الدين وأعمال البر.

4- فتنة الاضطهاد والطغيان والظلم:

كما قال الله عز وجل: **{قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}** البروج: 4 – 8. ولذا فإنّ المسلم يستعيذ من فتنة الطغاة الظالمين، قال الله تعالى: **(فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)** يونس: 85.

1- ومن أعظم الفتن التي حذر منها النبي -صلى الله عليه وسلم- فتنة الدجال

شبه النبي-صلى الله عليه وسلم- فتنة القبر بالفتنة التي تقع على العباد وهي فتنة الدجال فقال-صلى الله عليه وسلم- وَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ(2)

لذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم-يكثر الاستعاذة منه(3)

ثانيًا: الثبات أمام الأعداء(الثبات في الجهاد):

فمن دعء المجاهدين: **(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا)آل عمران: 147** (**قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)** البقرة: 250، وقال: وقال: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)** محمد: 7 وقال الله فيهم: **(وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا)**

(1) مرقاة المفاتيح (3243/8).

(2) البخاري (7287)، مسلم (2058)

(3) البخاري (833) مسلم (6970)

البقرة: 250، وفي ذلك توجيه للمؤمن أن يلتجئ إلى الله طالبًا منه التثبيت، وخوطب أبناء هذه الأمة بأمر الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا)**الأنفال: 45وقد حذر النبي –صلى الله عليه وسلم– من الفرار من الزحف وعده من الكبائر [1] وقد كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يدعوا بالثبات عند لقاء العدو فعَنِ البَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَوْمَ الأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ، وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: **"لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا، إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا"**(2)

ثالثًا: الثبات على منهج الإسلام بفهم الصحابة –رضى الله عنهم– **ومن تبعهم بإحسان لابمحض الهوى:** قال تعالى { **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**} الجاثية: 18

قال الطبري في الموضع من التفسير: ثم جعلناك يا محمد من بعد الذي آتينا بني إسرائيل، الذين وصفت لك صفتهم (عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأمْرِ) يقول: على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا (فاتَّبِعْها) يقول: فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك (وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) يقول: ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون بالله، الذين لا يعرفون الحقّ من الباطل، فتعمل به، فتهلك إن عملت به.

وعليه فمنهج الإسلام الذي ندعو إلى الثبات عليه هو الكتاب والسنة مسترشدين بفهم الصحابه قولا عملا؛ فالثبات على منهج الإسلام لا يكون إلا باتباع الوحي المنزل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وعكس ذلك اتباعٌ للهوى؛ قال اللَّهُ: **{فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}** [القصص: 50] فَقَسَّمَ الْأَمْرَ إِلَى أَمْرَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا، إِمَّا الِاسْتِجَابَةُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَإِمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى، فَكُلُّ مَا لَمْ يَأْتِ بِهِ الرَّسُولُ فَهُوَ مِنْ الْهَوَى. وَقَالَ تَعَالَى **{اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ}** الأعراف: 3. فَأَمَرَ بِاتِّبَاعِ

(1) البخاري (2766).

(2) البخاري (2837).

الْمُنَزَّلِ مِنْهُ خَاصَّةً: وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ اتَّبَعَ غَيْرَهُ فَقَدْ اتَّبَعَ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ. [1] وعليه فلا ينبغي التنقل بغير علم؛ اليوم على منهج وغدًا بآخر والعاقل من يأتيه الموت وهو على المنهج الحق كما أمر الله تعالى فقال {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**} آل عمران: 102. وهذا هو الموطن الرابع من مواطن الثبات.

رابعًا: الثبات عند الممات:

لقد أمر الله تعالى بالثبات علي الإسلام إلى الممات، وهو وصية نبي الله إبراهيم إمام الحنفاء لبنيه، ويعقوب من بعده كما قال تعالى: **(وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)** البقرة: 132. فالمؤمنون الصالحون يجازيهم الله بالثبات عند الممات، كما قال الله عز وجل واصفا ما يحدث لهم عند الموت: { **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ**} فصلت: 30. فههنا يخبر تعالى عن أوليائه، وفي ضمن ذلك، تنشيطهم، والحث على الاقتداء بهم، فقال: {**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**} أي: اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علمًا وعملا فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة. {**تَتَنَزلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ**} الكرام، أي: يتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار.

{**أَلا تَخَافُوا**} على ما يستقبل من أمركم، {**وَلا تَحْزَنُوا**} على ما مضى، فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل، {**وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**} فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولا ويقولون لهم أيضا – مثبتين لهم، ومبشرين: {**نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**}[2] وكما تنزل الملائكة عليهم بالبشارة والتثبيت تنهال على غيرهم بالضرب والنكال عند الموت قال تعالى: {**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ**

(1) إعلام الموقعين (39/1).

(2) تفسير السعدي سورة فصلت.

عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} الأنعام: 93، فقوله: **{وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ}** إلى أولئك الظالمين المحتضرين بالضرب والعذاب، يقولون لهم عند منازعة أرواحهم وقلقها، وتعصيها للخروج من الأبدان: (1).

خامسًا: الثبات على الطاعة: عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: وكان يقول أحب العمل الله ما داوم عليه صاحبه [2]، وحين سئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: أدومه وإن قلّ[3]. وعن عبد اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: **"يَا عَبْدَ اللَّهِ، لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلاَنٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ"** [4].

سادسًا: الثبات في الشدائد والابتلاءات: قال الله تعالى: **(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)** البقرة: 155، وقال تبارك وتعالى: **(لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)** آل عمران: 186، وعن صهيب رضي الله عنه **"عجبًا لأمر المؤمن، إنّ أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له"**. [5]

ثالثا – من أسباب عدم الثبات: 1

1– الصحبة السيئة:

(1) تفسير السعدي سورة الأنعام.
(2) البخاري (43).
(3) مسلم (1778).
(4) البخاري (1152).
(5) مسلم (7610).

قال عز وجل: **(الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)**الزخرف: 67 وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم-، قَالَ: "**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**"(1)

وقال تعالى {**يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا**} [الفرقان: 28، 29]

2- **ضعف الرّؤية الإيمانية لمفهوم الصراع بين الحقّ والباطل:**

هذه الرؤية الإيمانية التي يظهر من خلالها أن الصراع دائم وأن الغلبة للحق مهما علا شأن الباطل فلا يتنازل عن الحق بأي ثمن ويدرك أن الأيام دول قال الله تعالى: **(وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ)** الأنفال: 59، **(إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)** آل عمران: 140. إنّ غلبة الباطل في جولة معينة لا يعني أنّ هذه الغلبة مطلقة ودائمة، أو بأنّ الحق لن يستطيع مقاومته، وعليه بالتالي أن يخضع ويستسلم، كلاّ بل على أصحاب الحق أن يستعيدوا ثقتهم أولًا في ربهم عز وجل، ثم في أنفسهم ثم يستعدوا للجولة القادمة.

3- **استعجال النصر والتمكين:** هذا مع العجلة فإذا لم يحصل له ما أراد في الوقت الذي يريد ترك ما هو عليه من الحق، حتى الدعاء ربما يتركه، والله لايعجل بعجلة العباد، والنصر رزق لا يعجل قبل موعده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: اللهُمَّ مَتِّعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّكِ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَآثَارٍ مَوْطُوءَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَا يُعَجِّلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ، وَلَا يُؤَخِّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّهِ، وَلَوْ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكِ" [2]. هذا مع أنها كانت تدعوا والدعاء في أصله مشروع فكيف بسلوك ما لا يشرع للحصول على ما وعد الله به! وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله

(1) سنن أبي داود (4833)، والترمذي (2378)، وقال: حسن غريب، وحسنه الألباني في الصحيحة (927).

(2) مسلم (2663).

عليه وسلم- قَالَ: " يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي[1]. وكثيرا ما نسمع اليوم من يقول كم الزمن دعونا إلى متى تقولون لنا الدعاء!

4- **الجهل بالسنن الربانية مثل:** 1- سنة الابتلاء. . . ، 2- وسنة المدافعة للباطل وأهله. . . ، 3- وسُنّة التمكين: وهذه السُّنة بحاجة إلى فقه المسلمين لها، فالتمكين في الأرض هبة من الله وفق مشيئته لمن سلك الأسباب الشرعية المؤدية إليه، قال تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)آل عمران: 26، فالتمكين بيد الله سبحانه وتعالى وتحت مشيئته، وقد قضى بعدله ورحمته أن التمكين الدائم هو لأهل طاعته، لكن لا يحصل إلا بتحقق شروط والقيام بواجبات وانتفاء موانع. قال تعالى: **(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)** النور: 55، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات، هم الذين صححوا معتقدهم وأقاموه على وفق ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وطريقة السلف الصالح وفهمهم، ثم قاموا بعمل الواجبات الشرعية والالتزام بها، وابتعدوا عن الشرك وتوابعه هؤلاء قد وُعدوا من الله وعدًا لا يتخلف، بأنه يستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم من أتباع الرسل عليهم السلام، ويمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الإسلام. وتمكين الدين يكون: بتمكينه في القلوب وبنشره وتعليمه، وبتمكينه من تصريف أمور الحياة والهيمنة عليها وذلك بمراعاة أحكامه وتنفيذها في الواقع، فإذا فعلوا ذلك فقد اكتسبوا شروط التمكين وحصل لهم الأمن والاستخلاف، وانتفى عنهم الخوف. ثمّ كرّر الله سبحانه الشرط الأساسي في الاستخلاف وأكّد عليه بقوله: (يعبدونني لا يشركون بي شيئا) ثم قال سبحانه وتعالى في الآية التي بعدها: (وأقيموا الصلاة وآتو الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون)، هذه هي عُدّة النصر ومتطلبات التمكين، كما قال جل شأنه: **(الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)** الحج: 41 فهذا هو

(1) البخاري (6340).

واجب من مكنه الله وأعطاه سلطة وقدرة أن يقوم بتنفيذ شرع الله وحراسته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يستمر تمكين الله تعالى له، فإن الأمور كلها بيد الله ويعطيها سبحانه وتعالى من يستحقها ممن قام بعبادته وحده، ونفذ شرعه في واقع حياته، فالتمكين ليس من أجل الحكم والملك والغلبة وقهر الآخرين والاستئثار بالدنيا، إنما هو من أجل استخدامه في الإصلاح والبناء، وتحقيق المنهج الذي ارتضاه الله لعباده، ودفع الظلم والفساد وتحقيق العدل بين العباد.

وقد يحصل التمكين المؤقت لمن يمتلك أسبابه المادية لكنه لن يكون تمكينا تاما ولن يكون مستمرا بل تنتابه الشرور والمنغصات، ولن يكون فيه الأمن الحقيقي ولا البركة في الأرزاق والأولاد، قال تعالى: **(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)** طه:. 124. . . ، فلا بد من مراعاة حق الله، وحق عباده، والقيام بذلك في كل حال، في السراء، وفي الضراء، حتى يدوم لهم التمكين والنصر في الدنيا، ويستحقون الجزاء الأخروي في جنات النعيم، وإن هم أعرضوا وأخلوا بشروط التمكين فإنّ سنة الله الأخرى تنتظرهم وتحيق بهم، وهي سنة الاستبدال عندما تفقد الأمة صلاحية الاستمرار قال تعالى: {**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا مْثَالَكُمْ**} محمد:38 [1] والذي لا يفقه هذه السنن الثلاث لايثبت في الغالب ويتغير كثيرًا والله المستعان.

الوسائل المعينة على الثبات:

1- **تدبر القرآن:** لا شك أن قراءة القرآن وتدبره هي أعظم وسيلة للثبات؛ قال الله تعالى **(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)** الإسراء: 9، وقال **(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)** الإسراء: 82، ومن تلك العلل التي يشفي منها علة السقوط وتغيير الدين والمنهج قال الله: **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا)** الفرقان: 32

ومن أسباب كون القرآن مصدرًا للتثبيت؟ ما يلي:

(1) انظر: رسالة الثبات للدكتور صالح الرقب

1- لأنه يغرس الإيمان وينميه، ويزكي النفس، ويقوي الصلة بالله(**وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**) التوبة: 124.

2- لأنّ آيات القرآن تتنزل بردًا وسلامًا على قلب المؤمن، فلا تعصف به رياح الفتنة، ويطمئن قلبه بذكر الله. (**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**) الرعد: 28

3- لأنّه يزود المسلم بالتصورات والقيم الصحيحة، التي يستطيع من خلالها أن يُقوِّم الأوضاع من حوله، ويمده بالموازين الدقيقة، التي تهيئ له الحكم على الأمور فلا يضطرب حكمه، ولا تتناقض أقوله باختلاف الأحداث والأشخاص، (**وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**)الفرقان: 33. [1]

ثانيًا: التزام شرع الله، والعمل الصالح: قال الله تعالى: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) إبراهيم: 27 ففي هذه الآية: يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها.

وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، إذا قيل للميت " من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ " هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن: " الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي "(2). وقال ابن القيم رحمه الله: فَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ قِسْمَانِ: مُوَفَّقٌ بِالتَّثْبِيتِ، وَمَخْذُولٌ بِتَرْكِ التَّثْبِيتِ، وَمَادَّةُ التَّثْبِيتِ وَأَصْلُهُ وَمَنْشَؤُهُ مِنْ الْقَوْلِ الثَّابِتِ وَفِعْلِ مَا أُمِرَ بِهِ الْعَبْدُ، فَبِهِمَا يُثَبِّتُ اللَّهُ عَبْدَهُ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَثْبَتَ قَوْلًا وَأَحْسَنَ فِعْلًا كَانَ أَعْظَمَ تَثْبِيتًا، قَالَ تَعَالَى: {**وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا**} [النساء: 66] فَأَثْبَتُ النَّاسِ قَلْبًا أَثْبَتُهُمْ قَوْلًا، وَالْقَوْلُ الثَّابِتُ هُوَ الْقَوْلُ الْحَقُّ

(1) الثبات لصالح الرقب (45).

(2) تفسير السعدي سورة إبراهيم

وَالصِّدْقُ، وَهُوَ ضِدُّ الْقَوْلِ الْبَاطِلِ الْكَذِبِ؛ فَالْقَوْلُ نَوْعَانِ: ثَابِتٌ لَهُ حَقِيقَةٌ، وَبَاطِلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَأَثْبَتُ الْقَوْلِ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَلَوَازِمُهَا، فَهِيَ أَعْظَمُ مَا يُثَبِّتُ اللَّهُ بِهَا عَبْدَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَلِهَذَا تَرَى الصَّادِقَ مِنْ أَثْبَتِ النَّاسِ وَأَشْجَعِهِمْ قَلْبًا، وَالْكَاذِبَ مِنْ أَمْهَنِ النَّاسِ وَأَخْبَثِهِمْ وَأَكْثَرِهِمْ تَلَوُّنًا وَأَقَلِّهِمْ ثَبَاتًا. . . فَمَا مُنِحَ الْعَبْدُ مِنْحَةً أَفْضَلَ مِنْ مِنْحَةِ الْقَوْلِ الثَّابِتِ، وَيَجِدُ أَهْلُ الْقَوْلِ الثَّابِتِ ثَمَرَتَهُ أَحْوَجَ مَا يَكُونُونَ إِلَيْهِ فِي قُبُورِهِمْ وَيَوْمَ مَعَادِهِمْ، كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ "عَنْ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ"(1) (2).

ثالثًا: النظر في قصص الأنبياء والصالحين: قال تعالى: **(وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)** هود: 120. أي: قلبك ليطمئن ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهده، وكثرة من قام به. (3)

رابعًا: الدعاء: فقد وصف الله الراسخين في في العلم بأنهم يقولون **{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا}**، ووصف المجاهدين في سبيله بأنهم يقولون **(رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا)**، **{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا}** آل عمران: 147.

خامسًا: ذكر الله: قال الله عز وجل عز وجل: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**الأنفال: 45. فجعله من أعظم ما يعين على الثبات في الجهاد وهو ما استعان به يوسف على الفتنة إذ روادته امرأة العزيز كما قال تعالى **{ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}**يوسف: 23. (4)

سادسًا: الحرص على سلوك طريق أهل السنة والجماعة:

فهذا هو الطريق الوحيد الموصل إلى الحق وإلى النجاة في الدنيا والآخرة وهو ما يمكن الإجتماع عليه طريق أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– الذين أثنى عليهم كما في حديث

(1) حديث 2871 وهو في البخاري (1369).

(2) إعلام الموقعين (135/1).

(3) تفسير السعدي سورة هود.

(4) مجلة البيان (67/14)، ورسالة الثبات.

عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ" (1). ومهما افترق الناس فانظر: أين أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وكن معهم فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة[2].

سابعا: الالتفاف حول الفئة المؤمنة: قال الله تعالى: **(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)**. وتأمل ما قاله ابن القيم رحمه الله عن شيخه شيخ الإسلام في التثبيت: "وكنّا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت بنا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا، وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة[3].

الثامن: الثقة بنصر الله تعالى وأن المستقبل للإسلام:

فلمّا أراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يثبّت أصحابه المعذبين أخبرهم بأن المستقبل للإسلام في أوقات التعذيب والمحن، جاء في حديث خباب بن الأرت مرفوعًا أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "**وليُتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف الله والذئب على غنمه** "(4).

التاسع: التأمل في نعيم الجنة وعذاب النار وتذكر الموت: وبمثل ثبت النبي -صلى الله عليه وسلم- الأنصارفقال لهم إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"[5]. ولأجل هذا قال -صلى الله عليه وسلم-: "أكثروا من ذكر هادم اللذات[6]

---

(1) البخاري(2652).

(2) سنن ابن ماجة (3993)، وصححه الألباني في الصحيحة (204).

(3) الوابل الصيب (48/1).

(4) البخاري (3852).

(5) البخاري (3163) من حديث أنس رضي الله عنه.

(6) سنن الترمذي (2307) وقال: حسن غريب.